المحاضرة الرابعة: ملحمة جلجامش

تمهيد:

تعدّ ملحمة جلجامش من الآثار الأدبية الرائعة التي خلّدها التاريخ البشري. تعود أحداثها إلى العهد السوماري خلال الألف الثالثة قبل الميلاد (2650 ق.م)، وهي قصة واقعية للملك (جلجامش)، الملك الخامس من ملوك مدينة (أوروك) المعروفة بالوركاء بالعراق، تبعد بحوالي 200 كلم جنوب شرقي بغداد، جاءت الملحمة في 12 لوحة، مدونة باللغة البابلية، ظهرت حوالي 1700 ق.م قسّمها الدارسون إلى أربعة فصول على النحو الآتي:

1- لقاء (جلجامش) بالبطل (أنكيدو)
2- مغامرات (جلجامش) مع (أنكيدو)
3- موت (أنكيدو) وحزن (جلجامش) عليه.
4- رحلة (جلجامش) بحثاً عن الخلود.

الفصل الأول:

- كان (جلجامش) ملك مدينة (أوروك) قويا وجميلا وجبّارا، ثلثاه إله وثله الباقي بشر، هيئة جسمه مخيفة كالثور الوحشي، طوله 11 ذراعاً، وعرض صدره 09 أشبار.

- كان (جلجامش) ملكا مستبداً استعبد شعبه واضطهدهم، وبنى المدينة والقصر وسورها العظيم بسواعد العمال والرعية.

- لم تنقطع مظالم (جلجامش) فاشتكى الشعب للآلهة للحدّ من طغيان مَلِكهم، فاستجابت الآلهة وخلقت نداً للملك (جلجامش) يدعى (أنكيدو).

- (أنكيدو) قوي يكسو جسمه الشعر الكثيف، شعر رأسه كشعر المرأة... بدائي لا يعرف الناس ولا يعرف عاداتهم وطريقة عيشهم. كان يلبس لباس الرعاة ويأكل العشب مع الظباء.

- تناقل الناس الخبر، فبعث (جلجامش) في إحضاره، وعهِد بذلك إلى كاهنة تروّض (أنكيدو) بحيلها، وتسوقه إلى القصر. فتعجب من عادات الناس وتقاليدهم ومأكلهم وملبسهم...

- بعد أن أكل (أنكيدو) طعام القصر قُرعت الطبول، ليخرج (جلجامش) إلى السوق ليختار العرائس قبل أزواجهنّ، فيكون العريس الأول قبلهم.

- ويلتقي (جلجامش) بـ (أنكيدو) فتصارعا، وخارا خوار ثورين هائجين، وانتهى الصراع بينهما بالتعاهد والصداقة.

الفصل الثاني:

- تشتدّ أواصر الصداقة بين (جلجامش) و(أنكيدو)، ويلازمان بعضهما، ويتفقان على القيام ببطولات جليلة تخلّد ذِكرهما، وأوّل هذه البطولات القضاء على الوحش (خمبابا) حارس غابة الأرز لإزالة الشر من البلاد. و(خمبابا) وحش له زئير مُريع، تنبعث من فمه النار.
- بدأ (جلجامش) بقطع أشجار الأرز بفأسه، سمعه (خمبابا) فهاج وزمجر صائحاً، فاستحوذ الرعب عليهما وندما ندما شديدا على ما أقبلا عليه.
- أخذا يتضرعان إلى الإله (شمش) إله العدل والحق ليعينهما. فأهاج (شمش) الرياح فالتفّت بخمبابا، فشلّت حركته فاستسلم، فتمكّنا منه.
- غسل (جلجامش) شعره الطويل وأرسل جدائله وارتدى حللاً نظيفة ولبس تاجه. رمقته (عشتار) إله الحبّ فأعجبت به وبجماله.
- واعدت (عشتار) (جلجامش) بهدايا ثمينة من الذهب واللازورد ومُلكا يسع العالم، لكنّ (جلجامش) رفض طلبها وصدّها وعدّد آثامها ومثالبها.
- غضبت عشتار فصعدت إلى السماوات العلا ومثلت أمام أبيها (آنو) كبير الآلهة وأمّها (آنتم)، وطلبت من أبيها أن يخلق "الثور السماوي" ليعاقب جلجامش ففعل. نزل الثور وفي أوّل خورة له قضى على 300 رجل، وكذلك في خواره الثاني قضى على 300 رجل.
- وفي خواره الثالث هجم على (أنكيدو) فصدّ هجومه فأمسكه من قرنيه ثمّ من ذيله، وطعنه (جلجامش). بعدها اقتلعا قلبه وقدماه قربانا للإله (شمش).

الفصل الثالث:

- جلب انتصار (جلجامش) على الثور السماوي غضب الآلهة عليه وعلى صديقه (أنكيدو)، فقررت الألهة موت (جلجامش)، وأوكلت ذلك للإله (إنليل) إله الأرض غير أن هذا الأخير قرر موت (أنكيدو).
- رقد أنكيدو مريضا أمام (جلجامش)، فلازمه هذا الأخير على فراشه وحزن على مرضه.

- شعر (جلجامش) بعد وفاة (أنكيدو) بالضيق والحيرة. وهام في الصحاري، وبحث عمن يوصله إلى الحكيم (أوتنبشتم) الذي نجا من الطوفان مع زوجته. وكان سفره بغرض معرفة سرّ الخلود والحياة الأبدية. فدلّته صاحبة الحانة، ونصحت بأن ينعم في هذه الحياة الفانية، ولا يأبه بفكرة الخلود لأنّ الموت سيدركه لا محالة ما دام ثلثه بشر.
- ومع ذلك واصل رحلته إلى (أوتنبشتم) واستعان بالملاح (أورشنابي) الخرّيت.

الفصل الرابع:

- بعد سفر طويل قامه به (جلجامش) رفقة الملاح (أورشنابي)، وبعد أهوال واجهتهما في رحلتهما في عرض البحر، وصلا إلى الحكيم (أوتنبشتم) فرحّب بجلجامش وأحسن ضيافته، ورى له قصة الطوفان ونجاته منه مع زوجته. وبعد حوار دار بينهما حول فكرة الخلود وسبيل إدراك سرّه، دلّه الحكيم على نبتة تقع في أعماق البحر.
- ركب (جلجامش) البحر بحثا عن تلك النبتة المشوكة في المكان الذي دلّه عليه الحكيم. لمّا وصل ربط (جلجامش) خصره بحجارة وألقى بنفسه في عمق البحر، فغاص وتوصل إليها، وبعد أن قطفها قطع الحبل المربوط بخصره فطفا على سطح البحر، وركب زورقه عائدا إلى مملكته.
- أثناء عودته نزل ببئر، فأتت حيّة وأكلت تلك نبتة الخلود وتركت جلدها مكان النبتة، لمّا صعد (جلجامش) من البئر أدرك أن الحية أكلت النبتة وتوارت، فحزن لذلك حزنا شديدا، وأدر أن الموت مدركه لا محالة، فعاش بقية حياته ينتظر لحظة فراقه للحياة.